زهرة جزر المارتينك.. جوزفين..

شخصية امرأة تركت بصماتها على التاريخ

مؤلفة هذا الكتاب هي السيدة أندريا ستيورات الكاتبة الأمريكية المعروفة، والواقع أنها كانت قد ولدت في جزر الكاريبي وترعرعت في الولايات المتحدة قبل أن تنتقل الى لندن لكي تكتب فيها وتعيش ثم أنها كانت قد درست في باريس واشتغلت في الصحافة والنشر وانتاج البرامج والمسلسلات للتلفزيون..

وقد نشرت العديد من المقالات النقدية والكتب ولاتزال، وفي هذا الكتاب الجديد نجدها تتحدث عن إحدى الشخصيات التاريخية الشهيرة، أي شخصية الامبراطورة جوزيفين عشيقة نابليون بونابرت وزوجته العزيزة على قلبه، بالطبع لقد كتبت عشرات الكتب عن جوزيفين ونابليون...

ولكن هذا الكتاب يقدم اضاءة جديدة عن طفولتها وحياتها الأولى قبل أن تتعرف على نابليون وتصبح امبراطورة الفرنسيين، وهو شيء ماكانت تحلم به أبداً في حياتها، ولكن الصدف والأقدار شاءت ذلك..

ومعلوم أن الصورة الشائعة عنها هي أنها امرأة سهلة ومبذرة بل وحتى رخيصة الى حد ما... ولكن السيدة أندريا ستيوارت تقدم عنها صورة أخرى على ضوء الأرشيفات الحديثة التي تم اكتشافها فلو أنها كانت كذلك لما وقع في غرامها شخص تاريخي في حجم نابليون، أو قل لو أنها لم تكن غير ذلك لما تركت بصماتها على التاريخ بهذا الشكل..

في البداية تتحدث المؤلفة عن ولادتها في جزر المارتينك التي كانت تابعة لفرنسا آنذاك ولاتزال، ومعلوم أن والدها وهو من عائلة فرنسية عريقة هاجر الى هناك لكي يحسن وضعه المادي ويشكل ثروة ضخمة له ولعائلته..

ولكن ماكان يخطر على باله أن إحدى بناته الصغيرات سوف تصبح يوماً ما امبراطورة فرنسا والفرنسيين وتجلس على عرش نابليون!

ولدت هناك عام ١٧٦٣ وماتت في باريس عام ١٨١٤م أي قبل سقوط نابليون بوقت قصير وبعد أن كان قد هجرها وتزوج غيرها لأنها لم تنجب له طفلاً يرث العرش..

وهكذا لم تعش الامبراطورة جوزيفين أكثر من واحد وخمسين عاماً، ولكنها كانت كافية لكي تخلد اسمها في التاريخ، ثم تردف المؤلفة قائلة: ينبغي ألا ننسى بأنها عاشت في أكثر عصور فرنسا اضطراباً ورعباً، فقد كانت تلك هي مرحلة الثورة الفرنسية بكل هيجانها وعنفوانها وأحداثها التي هزت أوروبا والعالم، وقد شهدت جوزيفين الثورة بكل مراحلها.. وبخاصة مرحلة العنف الثوري التي أدت الى تساقط الرؤوس تحت المقصلة الشهيرة.. وكادت أن تسقط رأسها هي أيضاً لولا عفو الله كما يقال.. فقد نجت من الموت بأعجوبة..

والواقع أن جوزيفين لم تتعرف على نابليون إلا بشكل متأخر، أي بعد أن كانت قد تزوجت وأنجبت الأطفال وأصبحت مقربة من دوائر السلطة في باريس، بل ويقال أنها كانت عشيقة لأحد كبار رجالات السلطة الثورية قبل أن يتعرف عليها نابليون في بداية صعوده الى المجد..

ولكن ما أن رآها حتى صعقه حبها بالضربة القاضية وأصبح لايحلم إلا بها، تقول المؤلفة بما معناه: لقد التقى نابليون بجوزيفين للمرة الأولى في خريف عام ١٧٩٥م..

وكان الجنرال بونابرت يبدو آنذاك في نظر الفرنسيين بمثابة البطل لأنه أنقذ الثورة الفرنسية من تمرد القوات الملكية التابعة للنظام القديم، وكانت تبدو عليه امارات المجد بعد الانتصار، وهذا ما لفت انتباه جوزيفين عندما رأته لأول مرة.

وفي أول لقاء كان نابليون لايتوقف عن الكلام، ولكن بعبارات قصيرة متتالية وراء بعضها البعض كالشلال! وقد بدا شديد الغرابة بالنسبة لها، وربما لم يجذبها كرجل، ولكنه حتماً أدهشها بمظهره ولباسه وحركاته..

في ذلك الوقت كانت جوزيفين أرملة الجنرال بومارشيه الذي قطعت رأسه تحت المقصلة إبان الرعب الثوري في عهد روبسبيير وكادت أن تقطع رأسها هي الأخرى لولا أنها أنقذت في آخر لحظة من قبل بعض الشخصيات النافذة..

ولكنها سجنت لفترة وذات طعم الأسر والرعب وانتظار الخلاص أو الموت! ولكن عندما التقت جوزيفين بنابليون كانت الفترة السوداء قد أصبحت خلف ظهرها، وكانت قد أصبحت مقربة من السلطة الجديدة، بل وعشيقة لزعيمها وزعيم نابليون نفسه «باراس»..

وكانت قد بلغت الثانية والثلاثين في حين أن نابليون لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين، وقد شهدت كل المؤامرات التي كانت تحاك آنذاك، وعرفت كل رجالات السلطة والشخصيات، فالجميع كانوا يلتقون في صالون جوزيفين بومارشيه زوجة الجنرال السابق..

باختصار فانها كانت في موقع اجتماعي وسلطوي أعلى من موقع نابليون على الرغم من هالة المجد التي ابتدأت تحيط به بعد أن حقق انتصاراته الأولى وأنقذ الثورة من براثن الملكيين والرجعيين..

وكانت جوزيفين تعرف أن أيام السلطة المدنية، وبالتالي عشيقتها باراس، أصبحت معدودة، وأن أحد الجنرالات الكبار سوف يقوم بانقلاب ويأخذ السلطة، فالسلطة للجيش والعسكريين في نهاية المطاف.. وكان من بينهم جنرالات كبار وأشهر من نابليون وأعرف من حيث التجربة والعمر، نذكر من بينهم الجنرال «هوش» الذي أطلق اسمه فيما بعد على أحد شوارع باريس الكبرى، والجنرال مورو، والجنرال برنادوت..الخ

وبالطبع فإن جوزيفين عرفت بحدسها الذي لايخطئ أن نابليون ذو طموح كبير وله مستقبل، ولكن ما كانت تعرف أنه مستقبل اسطوري كما سيحصل فيما بعد.. كانت تعتقد أنه سيصل الى منصب رفيع في الدولة وكفى.. ولهذا السبب حرصت على صداقته وتطوير العلاقة معه، وهكذا أصبحت عشيقته، ولم يعد الناس يرونهما إلا مع بعضهما البعض.. وعندئذٍ وقع في حبها وأصبح مولعاً بها..

ثم تزوجها عام ١٧٩٦م دون علم عائلته وبدون أن يأخذ الإذن من أمه واخوته، وكان للخبر وقع الصاعقة على أم نابليون التي لاتفهم كيف يمكن لابنها العظيم أن يتزوج أرملة، مطلقة، أكبر سناً منه!

ولكن الحب هوالحب، ولا أحد يستطيع مقاومته، بالطبع فإن العداء بين العائلتين ابتدأ من تلك اللحظة، وقد رفضت أمه استقبال زوجته أو الاعتراف بها وظلت تكرهها حتى آخر لحظة، ويقول بعض المؤرخين بأن زواج نابليون منها كان بدافع المصلحة أيضاً وليس فقط بدافع الحب، فجوزيفين كانت مقربة من دوائر السلطة كما قلنا..

وبالتالي فعن طريقها كان يستطيع أن يصل الى ما يبتغيه من ترفيع في المناصب العسكرية أو أشياء أخرى، وهذا شيء وارد جداً، فالنساء كن دائماً يلعبن دوراً كبيراً في التاريخ عن طريق الحظوة والنفوذ، وكل ذلك بواسطة الجاذبية التي تمارسها المرأة الارستقراطية على رجالات السلطة..

وعشية اليوم الذي تزوجها فيه قررت السلطة ارسال نابليون الى ايطاليا على رأس الجيش الفرنسي!

وهذا الفراق المباغت والسريع جعله يحبها أكثر ويكتب لها الرسائل تلو الرسائل من إيطاليا، وحتى وهو لا يزال على الطريق قبل أن يصل اليها..

وكان يقول لها: لم يمر يوم إلا وفكرت فيك، وأحببتك، وضممتك بين أحضاني، أنت المرأة التي لا تشبهها امرأة، وقد حصل أن لعنت المجد أو الطموح الذي أبعدني عنك.. ليتني معك الآن..

ولاتزال رسائل الحب التي كتبها نابليون لزوجته جوزيفين مسجلة في كتب التاريخ وتثير اهتمام الكثيرين حتى الآن، فهذا الرجل الذي يعتبر من أكبر الفاتحين والأبطال العسكريين في التاريخ استطاعت أن تأسر قلبه امرأة متزوجة سابقاً وأرملة وأكبر سناً منه ولها ولدان!..

وكان بامكانه أن يتزوج أجمل الصبايا العذارى، ولكن جوزيفين هي التي احتلت كل قلبه، هل كانت تخونه أثناء غيابه الطويل وهو يخوض المعارك في ساحة الوغى؟ الله أعلم.

ثم بعد أن قام نابليون بانقلابه الشهير واستولى على السلطة في باريس أصبحت جوزيفين سيدة فرنسا الأولى، وكان اسم زوجها القنصل الأول قبل أن يصبح الامبراطور، وكان ذلك عام ١٧٩٩م بعد عودته من حملته على مصر..

ولكن جوزيفين بعد أربع سنوات من الزواج لم تنجب له الطفل المرجو ولي العهد!..وبدأ نابليون يقلق لأنه اذا مات فجأة في أحدى المعارك فإن النظام كله سينهار..

ثم تضيف المؤلفة قائلة: عندما تزوج نابليون جوزيفين عام ١٧٩٦م كان زواجه مدنياً لادينياً، وبالتالي فكان يمكن قطعه في أي لحظة، فالزواج الديني في الكنيسة هو الذي يجعل الطلاق مستحيلاً وليس الزواج المدني، يضاف الى ذلك أن نابليون سمع عندما كان في مصر بأن لزوجته علاقة مع أحد ضباطه الشباب ويدعى هيبوليت شارل..

وقد أزعجه ذلك بالطبع أيما ازعاج على الرغم من أنه كان لايزال يحبها كثيراً، ولذلك قرر الطلاق منذ عام ١٧٩٨م ولم تكن جوزيفين تعارض ذلك كثيراً لأنها لم تكن قد تعلقت به جداً، ولأنه لم يكن قد أصبح بعد الحاكم الفعلي لفرنسا وامبراطورها، لم يكن قد مضى على زواجهما أكثر من سنتين، وبالتالي فهو زواج حديث العهد ويسهل فكه..

ولكنه قرر أن يغفر لها خطيئتها ويعدل عن فكرة الطلاق، هذا لايعني بالطبع أن تلك الحادثة لم تترك أثراً عميقاً في نفسه، فالواقع أنها جرحته كثيراً.

إذ كيف يمكن للمرأة التي يحبها أن تخونه مع أحد ضباطه الصغار وهو نابليون بونابرت الذي يفتح البلدان ويهزم الجيوش ويحقق الانتصار تلو الانتصار لفرنسا؟ هل جنت جوزيفين ياترى؟ هل فقدت صوابها؟ ألا تعرف من هو نابليون بونابرت؟

ثم تردف المؤلفة قائلة: ولكن إذا كانت قد عذبته في البداية فانه هو الذي سيعذبها في النهاية، وهذا مايحصل في قصص الحب عادة، فالغالب قد يصبح مغلوباً والعكس صحيح أيضاً..

وبما أن جوزيفين استهانت به في البداية ولم تعرف قيمته فإنها دفعت الثمن، كانت تعرف أنه ضابط بارع ولكن ماكانت تعرف أنه سيصبح أشهر شخصية عسكرية في تاريخ فرنسا، باختصار كانت تستخف به أكثرمما يجب، وعندما ابتدأت تعرف قيمته أخذ ينصرف عنها دون أن يكف عن حبها!

والواقع أن مشاغله الكثيرة بعد أن اصبح امبراطوراً وهاجم كل أوروبا صرفته عنها بالضرورة، يضاف الى ذلك أنها لم تستطع أن تنجب له ولي العهد المنتظر، وهذا ما أجبره على التفكير بالزواج من امرأة أخرى، والواقع أن حاشيته أصبحت تلح عليه لكي يطلقها ويتزوج عليها، ومن أكثر الملحين عليه كانت أمه بطبيعة الحال، ومعلوم أنها كانت تكره جوزيفين كثيراً كما قلنا.

وأخيراً حصل المقدور وأجبرها نابليون على الطلاق بعد أن حاول اقناعها به بشكل طوعي دون جدوى، وقال لها: كل الدولة تريدني أن أتزوج وأن أنجب طفلاً لكي يرثني، وبالتالي فأنا لا أتركك كرهاً بك وإنما غصباً عني، فمصلحة الدولة هي التي تفرض ذلك وليس عواطفي الشخصية، ولو استسلمت لعواطفي لما انفصلت عنك.

ثم راح يطيب خاطرها ويقول لها بأنها سوف تحتفظ بكل امتيازاتها، ولكن الامبراطورة جوزيفين شعرت بالأم لاتوصف عندما أحست بأن الفراق أصبح محتوماً، ويقال أنه أغمي عليها عندما سمعت بكلمة الطلاق لأول مرة، والواقع أنها بعد خمسة عشر عاماً من الحياة المشتركة مع زوجها وبعد كل الأمجاد والتشريفات التي حظيت بها كسيدة لفرنسا الأولى كان من الصعب عليها أن تحرم من كل ذلك..

ثم أنه ليس من السهل عليها أن تقبل بحلول امرأة محلها كامبراطورة لفرنسا وزوجة لنابليون، ويبدو أنها بكت كثيراً وانعزلت في قصرها ولم تعد ترى أحداً لعدة أيام متواصلة، فلا شيء كان يعزيها عن فراق نابليون، تقول ذلك وبخاصة أنهما افترقا وهما يحبان بعضهما البعض، وقد فرض الفراق نفسه عليهما كما قلنا لاعتبارات خارجية لا علاقة لها بالعواطف والمشاعر..

والدليل على ذلك أن نابليون أصدر قراراً رسمياً يقضي بمحافظتها على لقب الامبراطورة والملكة المتوجة، ثم أعطاها قصر الأليزيه وهو أجمل قصور باريس، وسوف يصبح فيما بعد مقراً لرئاسة الجمهورية الفرنسية..

ولكن هل يعزيها كل ذلك عن فراق نابليون؟ هل يمكن لكل أموال الأرض وتشريفاتها أن تنسيها تلك السنوات السعيدة التي عاشتها الى جانبه وهو يحقق الانتصارات ويفتح العالم؟ مهما يكن من أمر فإن الحياة ينبغي أن تتواصل، أن تستمر، وجوزيفين المعتزة بشخصيتها لايمكن أن تنهار أو تظهر الضعف أكثر مما أظهرته، وبعد عام فقط على زواج الامبراطور انجبت له زوجته الجديدة ماري لويز ولداً ذكراً..

فعمت الفرحة مختلف أنحاء الامبراطورية الفرنسية، وعندما سمعت جوزيفين بالنبأ اغتمت للوهلة الأولى ولكن سرعان ما استدركت نفسها واظهرت الانشراح وقالت: ان سعادة نابليون هي سعادتي، وكل مايفرحه يفرحني، ولكن في قرارة نفسها تتمنى أنها هي التي أنجبت له هذا الولد الذكر الذي طالما انتظره وحلم به ولم تستطع أن تقدمه له..

"أوهام شرقية" وصور المعاناة

هيا صالح

● تنسج الكاتبة اللبنانية لنا عبد الرحمن عوالم قصص مجموعتها "أوهام شرقية"، الصادرة عن وكالة الصحافة العربية في القاهرة (٢٠٠٣)، من خلال رصد تفاصيل الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، التي شكلت دعائم القصص الرئيسية، وعمقت الأحداث اليومية البسيطة، مبرزةً سمات الشخصيات التي تعاني من الانهزامات والانكسارات الداخلية في بحثها الدائم عن الراحة والاستقرار في عالم رجراج لا يعرف السكون. من هنا ظلت هذه التفاصيل على علاقة وطيدة بعناصر القصة القصيرة، مشكّلةً نصيباً لا يستهان به من ركائزها.

وقد ساعدت الأساليب السردية على إبراز تلك التفاصيل وتوظيفها في السياق العام للقصة، بلغة تميل إلى الشعرية أحياناً، نظراً لتركيز الكاتبة على القضايا ذات الابعاد الإنسانية، ونقل إحساس الشخصيات، وهواجسها وأحلامها، وما يعتري دواخلها في لحظات المواجهة والمكاشفة مع الذات، ما استدعى في غالبية القصص، استخدام أسلوب السرد بضمير المتكلم "الأنا" بما يشير إليه من إشعار للقارئ بصدقية ما يرويه السارد، ومصداقيته. تنعكس آثار الهزيمة الخارجية، المتمثلة بالاحتلال الصهيوني لفلسطين، في قصة ثلاث "ساعات قبل الرحيل"، على داخل الشخصية المحورية "ليلى" الراوي بصيغة الأنا، التي لا تملك خياراً في تحديد خط سير حياتها، وكل ما تقوم به ردة فعل هشة إزاء أقدار الحياة التي وضعتها في دائرة مغلقة، حيث لا تعرف بداية الطريق أو نهايته، وهي تبحث عن الرجل الذي تخلت عنه لتحزم حقائبها وتسافر، في إشارة إلى الانسحاب والهروب من المواجهة. وفي طريقها للبحث عن "يوسف" لتودعه، تصادف "ليلى" مجموعة من المواقف التي تكشف عن استحالة أن تلتقي به نظراً للمفارقة الكبيرة بين شخصيتها وشخصيته؛ فهي امرأة تبحث عن الاستقرار والهدوء، بينما هو رجل يسعى لإصلاح العالم وحمل مشاكله على كتفيه، فـ"ليلى" مثلاً، عندما ترى طفلاً ملقى في حاوية القمامة تتوارى بسرعة عن الأنظار، تاركة الطفل يواجه مصيره، كذلك تهرب من مواجهة صديقتها "لارا" المنشغلة بالاعتصامات والمظاهرات السياسية، لأنها لم تشارك طوال حياتها في أية نشاطات سياسية، وغيرها من الأحداث والتفصيلات والمواقف التي تتفرع في شتى الاتجاهات، ما يجعل القصة بؤرة أو نواة لمشروع رواية: "تذكرت حينها الطفل الوليد الملقى في حاوية القمامة، ماذا حدث له الآن يا ترى بعد مرور ساعة من الوقت؟ أتراه مات؟ أم أنه ما زال حياً؟ هل أنقذه أحد؟ لماذا لم أتوقف عند أقرب مركز للشرطة وأخبرهم بما رأيت؟ لو أن يوسف عبر المكان وسمع صراخ الطفل أما كان سينقذه، وليحدث بعدها ما يحدث؟" ص١١

يلقي عدد من قصص المجموعة الضوء على معاناة المرأة العربية في ظل أنظمة اجتماعية وتشريعية رجعية تضعها في مرتبة دونية بعد الرجل، وتعاملها على أنها مجرد أداة لمتعته وتلبية رغباته واحتياجاته، بعيداً عن احترام إنسانيتها وكرامتها، وهي النظرة التي يستغلها الرجل لممارسة سلطته القمعية المطلقة على المرأة، في كثير من المجتمعات الشرقية (العربية خصوصاً) كما في قصة "امرأتان": "ركض ذهنها إلى أشهر سابقة، حين لجأت إلى المحكمة لتطلب الطلاق، تذكرت أسئلة القاضي، حين مثلت أمامه هي وهو: هل يغطي مصاريفك ومصاريف المنزل؟ أجابت: "نعم، لكن ليس هذا كل شيء، إنه يضربني و...و...و..

لكن لا أرى على وجهك أي آثار للضرب. إنه يحتقرني، ويعذبني، ويسيء إلى إنسانيتي.

هيا عودي مع زوجك إلى منزلكما، واقنعي بحياتك يا امرأة" ص١٧، بنت الكاتبة قصتها السابقة عبر ما يمكن اعتباره دمج قصتين معاً في قصة واحدة، حيث هناك تناوب في السرد بين المرأة رقم (١)، والمرأة رقم (٢)، وكل منهما تروي حكايتها مع الرجل بضمير "المتكلم"، ومن زاويتها الخاصة التي فرضتها طبيعة العلاقة التي تجمعها بعشوقها. وكل قصة من هاتين القصتين منفصلة تماماً عن الأخرى، حيث جاء دمج الكاتبة لهما معاً دون مبررات تقنية أو فنية أو موضوعية مقنعة.

من جهة أخرى، ركزت الكاتبة على تناول معاناة المرأة والرجل معاً في ظل المواضعات الاجتماعية التي ترى في الحب معصية، وفي ظل تابوهات المحرمات، وثقافة العيب، واصفة مشاعر الحب كإحساس داخلي يعيشه طرفا العلاقة، بعيداً عن ما هو سطحي، وبلغة شعرية مؤثرة، وهو الأمر الذي أكسب القصة عند لنا عبد الرحمن أجواء حميمية وأبعاداً إنسانية عميقة. وكمثال على ذلك نورد هذا المقطع من قصة "حب شرقي": "قال لي ونحن نسير في الحي الدمشقي القديم، نحو ركن نهرب إليه من هدير الزمن الحاضر، لنتصالح مع عمر بلا تاريخ أو ذاكرة.. تجاوزنا فوهة الرغبة، لننزلق في متاهة وله بلا "أمس أو غد" ص٥٣،

اعتمدت لنا عبد الرحمن أسلوب التقطيع، في بعض قصص مجموعتها، حيث لكل مقطع سارد "يروي بضمير الأنا" منفصل عن سارد المقطع الثاني، لكن خيطاً سردياً واحداً يجمع المقاطع هو خيط الراوي كلي العلم متعدد الزوايا الذي ينقل الحكاية كما عاشتها الشخصية المحورية، بعيداً عن التدخل المباشر في سير الأحداث، مع مراعاة تقديم الأفكار والمشاعر بتدرج، إلى أن تبلغ ذروتها في النهاية، ولذلك تعمدت الكاتبة أن تترك لكل من بطلي القصة الرئيسيين اللذين يتكررا في غالبية القصص الفرصة للحديث عن هواجسهما وما في دواخلهما من مشاعر وأحاسيس، كلٌ منهما تجاه الطرف الآخر. وبالنسبة للبطل (أو البطلة) فإن كثيراً مما يرويه لا يعرفه الطرف الآخر وهذا شأنه شأن العلاقات الإنسانية الطبيعية أو الدارجة، ولكن الكاتبة تلم كل الخيوط لتضعها بين يدي القارئ الذي يقرأ قصة واحدة ولكن على ألسنة رواة مختلفين، حيث يشكل هؤلاء الرواة جزئيو العلم، راوياً واحداً كلي العلم، مما ساهم في خلق شبكة سردية متداخلة تقوم أساساً على اللغة الشعرية بغية التأثير الوجداني على المتلقي وكسب تعاطفه مع القضية المطروحة. ففي قصة "ضريح لرماد الذاكرة" مثلاً، يسرد الراوي/ الرجل، بضمير الأنا، حكاية حبه الأول لفتاة تدعى "إيمان" لم يستطع رغم السنوات الطويلة التي مرت على فراقهما نسيانها، فيحاول صديقه أن ينسيه إياها فيعرفه على إحدى فتيات الليل، ويقضي البطل مع تلك الفتاة ليلة واحدة، حيث يكتشف كل واحد منهما فرادة الآخر وانجذابه تجاهه، وهو ما تكشف عنه المقاطع التي يتناوب فيها السرد مرة على لسان البطل/ الرجل، ومرة على لسان البطلة/ سونيا، حيث يسرد كل واحد منهما المشاعر التي انتابته تجاه الآخر، دون أن يطلعه عليها.

القارئ فقط هو الذي يعرف جل التفاصيل، بينما كل من الساردين لا يعرف ما دار في خلد الآخر من تداعيات أو أفكار. تقول سونيا في أحد المقاطع: "في عينيه كثير من الحزن. كان ينظر إلي بصمت، يبدو عليه كمن فقد عزيزاً، وأنا أنظر إلى وجهه وجسده حين تأملني وأنا أرقص" ص٧٩، في حين يقول الرجل في مقطع آخر: "أحسست بقوتي، وبهشاشة ذاك الجسد الذي صار يتحول فجأة إلى واحة، فيما دفء شارد ينبعث مع أنات بإيقاع منفرد". لكن الكاتبة لا تكشف عن أن واحداً من البطلين يعرف ما يفكّر أو يشعر به الآخر نحوه.

محسن الجبري

من الأدب الشعبي أسجل في مقال اليوم هذه الأبيات الشعرية التي يوضح فيها الشاعر الشعبي كيف أصبحنا في عصرنا الحاضر عصر العولمة، والغزو الثقافي عبر القنوات الفضائية التي تدخل الى بيوتنا والى عقول شبابنا وشاباتنا برغم أنوفنا وتفرض الثقافة الغريبة الهابطة المائعة، حتى أصبحنا نعاني من الأمية الثقافية والجهل المخزي بثقافتنا العربية الراقية الأصيلة، وتراثنا الثقافي، الحضاري وأدبنا الفصيح والشعبي وتاريخنا الطويل المشرف لكل عربي وعربية والذي تعلمت منه الشعوب الأوروبية التي كانت تعيش في ظلام الجهل الدامس والأمية القاتلة والعرب في البلاد السعيدة «اليمن الخضراء» يبنون أقدم حضارة انسانية تعلمت منها البشرية وقد يقول قائل: «العصر عصر الانترنت و الكونيات والأقمار الفضائية، عصر المعلومات والكمبيوتر واللغات » والشاعر العربي يقول :

وشر العالمين ذوي خمولٍ
إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

أو كما قال الشاعر:

ليس الفتى من يقول كان أبي
إن الفتى من يقول ها أنذا

ونحن نقول: من لاماضي له لاحاضر له ولا مستقبل ويااليت جيل عصر العولمة لا يعادي الكتاب ولايترك قراءة صفحة من أي كتاب مع العلم أن الكتاب خير جليس والأستاذ الذي لايستغني عنه كل شاب وشابة من جيل عصر العولمة الذي لاتوجد عندهم حصانة ومناعة وثقافة عربية راسخة أصيلة يقاومون بها فيروسات ثقافة الغرب الغازية لفضائنا المفتوح لكل السموم التي تلوث العقول النقية الصافية لأجيالنا المعاصرة الذين تركوا الكتاب خير جليس وجلسوا معظم وقتهم بجوار التلفزيونات وأجهزة العصرالحديثة التي تنقل الى عقولهم ثقافة الانحلال والتفسخ والميوعة وإثارة الغرائز الحيوانية من خلال عارضات أجسادهن العارية ورقصاتهن الجنونية المبتذلة وياليت شبابنا المعاصر لا يتأثر بالقشور وكل ماهو تافه ويستفيد من لب الثقافة المعاصرة ويستغل أجهزة العصر الحديثة للتسلح بالعلم والمعرفة لعلوم العصر الحديثة التي يخدم بها شعبه ووطنه الى جانب ماعنده من رصيد كبير من الثقافة العربية الأساس الثابت لثقافته المعاصرة إلا أن البعض من جيل عصر العولمة يصدق عليه قول الشاعر العربي الذي يقول:

غراب تعلّم مشي القطاء
وقد كان يُحسن مشي الحجل
تهرول مابين هذا وذا
فلا ذا تأتى ولا ذا حصل

ومما يؤسف له أن البعض من جيلنا المعاصر في عصر العولمة يحفظ تاريخ فرنسا من الألف الى الياء ولو ناقشته لشرح لك تاريخ أمريكا وبريطانيا وألمانيا وايطاليا والنمسا ..الخ ولو سألته عن الرسوليين الذين ازدهرت الثقافة في عصرهم لايدري منهم وعن الصليحيين الذين توحد اليمن في عصرهم لايدري ماقام به المكرم وأروى بنت أحمد وعلي ابن الفضل وعن عامر عبدالوهاب الذي حكم اليمن الكبير وامتد نفوذه الى عموم شبه الجزيرة لايدري من هو ولو سألته عن معين وسبأ وحمير وقتبان وذو ريدان وأوسان وحضرموت ويمنات لايدري ولو طلبت منه نبذة عن امرؤ القيس الكندي الحضرمي اليماني وابن خلدون الحضرمي اليماني وعن علي باكثير الأديب المعاصر الحضرمي وعن البردوني والأستاذجرادة وغزالة المقدشية وسحلول وبقية الشعراء والأدباء اليمنيين لما عرف عنهم شيئاً ولو سألته عن شكسبير وجركي وبقية أدباء الغرب لوجدته يحفظ ماقالوه غيب وياليته يحفظ ماقاله الأدباء العرب كما يحفظ ماقاله أدباء الغرب قال الشاعر سحلول يخاطب الثورة الأم ثورة ٢٦من سبتمبر الخالدة بصفته شاعر الثورة:

أماه لاتتوقعي اصداري
ديوان شعر ولن يتم صدوره
مادام عبيد المعبد الدولاري
الشعر أصبح عندهم اسطورة
ولقد نسي شعري جميع أسراري
وأنا نسيت قوافيه وبحوره
واذا خطر ذكره على أفكاري
أقرأ من القرآن آخر سورة
ولن يكن شعري أو استشعاري
ألمن أراه يجهل جميع أموره
مالي وللهدرة مع بقاري
لم يستطع شعري يهز شعوره
ومائة بردوني وألف شحاري
مش قادرين يحركوا أظفوره

إننا نخشى في عصر العولمة ضياع هويتنا اليمانية وثقافتنا العربية لأن الفضائيات العربية تقلد الفضائيات الغربية وكأنها تتعاون مع الغرب في عرض ماينتجه الغرب من أفلام الرعب ومسلسلات هابطة وأفلام الكرتون الخاصة بالأطفال لتنقش في عقول أطفالنا الثقافة الغربية وياليت وكل الفضائيات العربية تستغل كل دقيقة من وقتها الثمين وتعرض من خلالها كل ماهو عربي من حين بداية البث الى النهاية وتكون كل برامجها محلية مائة بالمائة أو ياليت كل الفضائيات العربية تتوحد في قناة عربية واحدة توجه بثها الى الغرب باللغات الأجنبية ليعرف الغرب كله ثقافتنا العربية الحضارية الراقية الأخلاقية الانسانية والتي شوهتها الدعايات الصهيونية عبر القنوات العالمية التي يسيطر عليها اللوبي الصهيوني وبدلاً من أن نخاطب بعضنا بعضاً من خلال قنواتنا الفضائية نقاوم من خلال مانبثه من قنواتنا الفضائية الدعايات الصهيونية والغزو الثقافي الغربي أو على الأقل نوحد خطابنا الاعلامي ونجسد وحدة ثقافتنا العربية وعقيدتنا الراسخة التي لاتهتز عبر العصور.

التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠٠٤م
يوفر بيانات لرصد مسارات الهجرة الداخلية وآثارها واتخاذ الخطوات العملية لتلافي سلبياتها على التنمية ومستقبل السكان